

كلمة بين يديّ

الطبعة الثانية

ظهر هذا الكتاب الصغير (رواد الشعر الحديث في مصر) عام ١٩٣٤ وأنا بعد في طور الشباب الأول ، فهو يمثل المرحلة الأولى من التطلع والاستشراق على عالم الأدب والشعر وقد اشتمل على أربع دراسات لأربعة من الشعراء الأعلام في مصر والعالم العربي حين ذاك ، وهم :

خليل مطران ، عبد الرحمن شكرى ، أحمد زكى أبوشادى وعباس محمود العقاد .

ولا يزال كلُّ منهم بعد انصرام هذه السنوات الطوال عملاقاً من عمالقة الشعر والأدب في العصر الحديث .

ولم يكن عجباً أن يثير هذا الكتاب لدى ظهوره الكثير من المساجلات الأدبية والمناقشات الحامية في المجتمعات والأندية ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ؛ والحق أنه أحدث أثراً عميقة في نقد

الشعر العربي الحديث على ضآلة حجمه .

ولقد أشار إليه التقاد ، ورجع إليه الباحثون وطلاب الأدب ولا يزالون ، فهو من تلكم المراجع المعتمدة ، ولذلك آثرتُ أن يُنشر على الناس مرةً أخرى .

وقد أضفت إليه مقالين من أمتع المقالات التي نُشرت عنه .
أوبسبه . حين ذاك . أحدهما للشاعر المفكر الكبير الأستاذ عباس العقاد . الذى أكنُّ له كل الحب والتقدير . ودليلي على ذلك عنايتي بدرسه منذ هذه السنوات الطوال : وهو لاشك من أعظم شعراء العربية في العصر الحديث .

أما المقال الثانى فهو بقلم الشاعر الكاتب القدير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، وهو مقال يتسم بالطرافة والرفقة والزهد والبعد عن التشامخ والغرور . ويعتبر المقالان وثيقتين تاريخيتين ، وفي نشرهما فائدة محققة للحركة الأدبية الحديثة .

وبعد ،

فأمل أن يكون في صدور هذا الكتاب مرة أخرى فائدة للأدب والشعر في مصر والعالم العربى .
والله الموفق .

د مختار الوكيل

القاهرة في إبريل ١٩٨٢

بيان وتمهيد

السبب في الجمع بين هؤلاء الشعراء الأربعة في كتاب واحد ، هو أنهم مهدوا لنهضة الشعر الحديث في هذه الديار تمهيداً قوياً ، وليس السبب أنهم يتشابهون في المبدأ أو الثقافة ، أو يتكافئون في الطاقة الشعرية .

ولقد آثرنا جانب عرض حسناتهم الشعرية مع إشارة لطيفة إلى بعض ما يؤخذ عليهم ، حتى يتم لعملنا ما نرجوه من الترفع عن دناءة السُّعار الأدبي الذي يسمونه في مصر بالنقد .

وغاية متعمنا أن يكون من هذا الكتاب الصغير صورة صادقة تفيد النشء العربي كما يرتكن إليها المؤرخ الأدبي إذا شعر بحاجة إلى ذلك .

القاهرة في ١١ أغسطس سنة ١٩٣٤

مختار الوكيل

obeikandi.com

واجب الناقد

كنت أتوق منذ بعيد لأن أظفر في هذه اللغة بتقد أدبي صادق ، ولكن أبى القدر على الظفر بهذه الأمانة حتى اليوم . لست أنكر أننا نعيش في زمن ارتقت فيه الآداب ارتقاء عظيمًا ، واتسعت فيه المدارك اتساعًا شاسعًا ، وأقبل الناس في هذه الديار وفي سواها من أقطار الشرق العربي على الثقافة والتحصيل في يقظة ونشاط عجيبين ، واتسع المجال أمام العاملين الصابرين على الدرس والمذاكرة من عشاق الآداب والفنون ، وأصبح بين ظهر أنينا اليوم أدباء أفاضل ، وشعراء حقيقيون بهذه التسمية ، وفنانون نفاخر بهم بلدان الغرب المتفوقة في الحضارة . بيد أن هذه النهضة المباركة لم تثمر ثمرها المطلوب ، ولم تتم نعمتها على أهل الآداب والفنون في هذا البلد ، إذ لا يزال فن النقد الأدبي متأخرًا متخلفًا عن فنون الأدب الأخرى . ولعله من الصلوق والإنصاف أن نقول في هذا الصدد إن الظروف لم تُهيأ بعد لوجود النقد الأدبي الخالص : فالأديب الذي

يقوم بنقد ثمار المطابع عندنا في صحيفة من الصحف لا يتناول في
الغالب من الصحيفة أجراً على النقد الذي عني به ، بل يتطوع به من
تلقاء نفسه ، أما إذا كان محرراً بتلك الصحيفة فهو يقوم بعملية النقد
بالرغم منه ، وقد تضطره ظروف عمله إلى أن يتصدى لنقد كتب
لا يعلم عنها شيئاً ، وهو في هذه الظروف لا يؤدي مهمة الناقد
الصادق ، وإنما يمثل دور المخرج المضطر . هذا فضلاً عن ضالة مرتبه
الذي يتقاضاه من الصحيفة . وليت شعري كيف تريد أن تجعل منه
القاضي الفاضل الذي يقول كلمته الفصل في أمور الأدب وهو في
طخياء من الفاقة والتشرد ، لا يدرى هل سيصبح في الغد عائلة
على فضل منقوده الذي قال فيه كلمة الحق والعدل أولاً ؟ ! فالناقد
الأدبي في هذه الديار مضطرب العيش مقلقل الأفكار ، مهدد على
الدوام بالفسك والأزمات ، وكل هذه الأمور من شأنها أن تغير من
أحكامه تغييراً كبيراً ، وتبعدها عن جادة الصواب . وأنا أعذر الناقد
الأدبي وأعفه : أعذره لسوء ظروفه ، ولتجههم الحياة في وجهه ،
وألومه كذلك على تردده في قول ما يعتقد الصواب ، فالتقد الأدبي
السامي لا يقصد به إلى إرضاء المنقود أو إرضاء جمهوره القارئ ،
وإنما المقصود به النهوض بالأدب وحث المنتجين من الأدباء على
الإجادة والعناية بآثارهم التي هم بسبيل نشرها على الناس ، والناقد

الأدبى السامى قاض عادل لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يرهبه وعيد ، ولا تطمعه الوعود ، قد تنزه عن صفات ربنى جلده ، وارتفع بروحه عن مادية العيش ، وتناسى الأحقاد وعمى عن الضغائن والخصومات ، وتجرد من صفات إنسانيته ، وجاد من فوق الزمان بكلمة الحق التى تهدى سواء السبيل . وليكن رائد الناقد الإخلاص والإصلاح جهد الطاقة ، حتى يكون عامل بناء وتوطيد ، لا أداة هدم وتخريب .

والآداب لا تزدهر ولا تسمو إلا بالنقد المشجع الباسم المتفائل ، ولا تموت وتذوى إلا بطعنات الخناجر الحادة ، وهبات الغازات السامة ، وأين هذه من النقد السلم المرنى الكامل ؟
يجب على الناقد أن يشجع المبتدئ الشاذى ، ويطرب للمجيد ، ويصفق للنابغ ، ويشيد بالعبرى ، فهذه هى وظيفته الحقيقية ، وهو فى هذا يكافئ المستجيب من الأدباء المكافأة التى يستأهلونها ، فهو صديق للأدباء ، وليس بنخس ولا بعدو لدود !

ومن واجبه كذلك أن يقبل عثرة العائر ، ويرشد الضال فى رفق وعطف ، ويقود العاجز فى صبر وأناة ، ويعلم الجاهل فى تواضع وهدهد ، ويكون فى كل حال الأخ الحالى ، واليد الآسية الرقيقة ، والصديق المتواضع المجهول .

ويمكننا أن نظفر بالنقد الأدبي الصادق اليوم في الصحف والمجلات الفرنجية الممتازة ، ذلك لأن الناقد الأدبي لكل صحيفة أو مجلة راقية هناك يؤجر أجراً يضمن له وسائل المعيشة ، ويجعله في هدوء ودعة لا يخاف قولة الحق ، ولا يخشى أن ينحى عليه قوم باللائمة ، وما دام هو لا يعنى سوى الإصلاح والخدمة الأدبية المجردة عن الهوى والغرض فهو في غالب الأحوال يرضى الجمهور ويقنع المنقود .

أما عندنا ، فما يزال النقد الأدبي متأخراً كما قدمت ، فلا قواعد مضبوطة يسير الناقد على هديها ، ولا رغبة في خدمة الأدب خدمة بريئة من الأغراض ، وإنما هنا يسيطر على الناقد الصداقات والعداوات : فالناقد ينظر إلى المنقود ، فإذا كان من شيعته كال له المدح ، وأغدق عليه الإطراء إغداقاً ، ونعته بنعوت العبقرية ببلون حساب ، وإذا كان من عدوه قلب له ظهر المجن ، وحطّم أثره الأدبي تحطيماً ، ولطّخ نقده بصندوق من السباب والشتائم المقدعة ، محفوظ برمته لكل مناسبة من هذا الطراز !

ولقد قرأنا كثيراً في النقد الأدبي في هذه اللغة ليست من النقد الأدبي في قليل ولا كثير ، وإنما هي معارض للسخائم والشتائم والأحقاد التي يجب على الناقد الأدبي الصحيح أن يترفع عنها .

ولقد عمدنا في هذه الفصول إلى نقد بعض شعراء هذا الجيل
نقدًا صادقًا غير متأثرين بصداقتنا لغيرهم . راجين جهدنا أن نخدم
النقد الأدبي الصحيح خدمة خالصة ، مؤملين أن يكون من هذه
الفصول رائدًا للنقد الأدبي الصحيح في هذه اللغة المحبوبة .
ولعل من المفيد أن نذيع هنا أننا متأثر بمذهب خاص من
مذاهب النقد التي ألفها الناس ، وإنما قصارانا في هذه الفصول أن
نحكم ذوقنا واطلاعنا الأدبي تحكيمًا مستقلًا عادلاً .

obeikandi.com

في الشعر

في اللغة العربية كثير من الشعر ، ولكن الذي يستحق العناية ويستأهل الدراسة منه يسير فما كل كلام منظوم يعد من الشعر ، في حين قد يحسب بعض النثر شعراً . وأنت لا تقرأ كتاباً صنفه الأدباء في القديم لم يحو شيئاً من الشعر ، بل تجد فيه كثيراً منه . وأحب أن العرب كانوا لا يعرفون الأديب إلا شاعراً في أغلب الأحوال . أما النثر فما كانت له مكانة على ما أظن في عصور البداوة الأولى ، وقد يتعب المرء في البحث عن الشعر الحقيقي بالقراءة والدرس وقد يلتوى عليه الأمر ويضل السبيل .

يشد المرء من قراءة الشعر لذة روحية وهزة عاطفية ، ولكن ليس هذا كل ما هنالك ، فالشعر يعقب ألماً في روح قارئه . والشعر الحقيقي بهذا الاسم ليس من أمور اللهو والتسليه العاطفية ، بل هو من المسائل التي يكاد من أجل فهمها الذهن كالرياضة والهندسة . والشاعر في هذه الأحوال لا يعالج القشور التوافه وإنما يدخل إلى

اللباب باحثاً عن جوهر الحياة جهده ، فأحياناً يبلغ قصده وأحياناً يحقق ، ولكنه في الحالين الباحث الشريف المجتهد .

وقراءة الشعر على هذا الأساس تستوجب الانتباه الكلى ، لا انتباه العقل فقط ، وإنما انتباه الشعور ويقظة العواطف كذلك . فإذا حاولنا أن نفهم الشعر بعقولنا ومشاعرنا جميعاً فقد خطونا خطوة جديدة نحو نقد الشعر نقداً علمياً صحيحاً .

وأظن أننا على ضوء هذه النظرة العلمية الجديدة سنصل إلى ما نعلمه من شعر هذه اللغة في القديم والحديث ، ونعلم أننا سنغضب الكثيرين من الناضجين وقراء الشعر ، بيد أننا نقول ما نعتقد الحق وليس يعيننا بعد ذلك أن نكون أرضينا الناس أم أسخطناهم .

يطالع القارئ كتاباً من كتب الأدب القديمة فيروعه أن يرى شعر المدح المصنوع مكديساً تكديساً ، وشعر المدح في الواقع من ضروب الشعر المحترمة إذا قيل عن صدق وإخلاص وصيغ في خيال وصور فنية تستطيع البقاء وتقوى على الخلود في عالم الأدب . ولكنك ربما لا تلقى كثيراً ذلك الشاعر الذي كتب شعر المدح الصادق في هذه اللغة ، وإنما كثيراً ما تقع عليه من ذلك الضرب من الشعر هو صور من الضعة والصغار ، ونماذج من القلوب المعفرة في رغام الضلالة

وهي لا تشرف الأدب العربي على الإطلاق ، وإنما هي نسيء إليه كل الإساءة ، فليس فيها ما يمتنع الروح والمشار ، وليس فيها ما يملأ العقل والفكر ، وهي لا تصمد لنقدنا الذي سنحاول به أن نجلو حقيقة الشعر وننقن عنه الزيف .

والذي يعجب له المرء أن شعراء يعيشون في زمننا هذا لا يزالون على إخلاصهم للقديم في كل شيء حتى في المديح ، فهم إذا ملحوا افتتحوا قصائدهم بغزل موهوم في شخص حسناء خيالية ثم ذكروا ما يعانونه في سبيلها من الشحوب والألم و... و... و... حتى يتدرجوا إلى التحدث عن فاقتهم وذلتهم ويستمطروا شآبيب خيرات الممدوح .

فإذا أغضينا عن ذلك التللى وأهملنا هذه النفوس فكيف نهمل هذا التفكك في نظم القصيدة ، ونحن نعلم اليوم أن للقصيدة وحدة يجب أن تشملها جميعاً ، ولكنهم مع هذا شعراء ... !
وأعجب من هذا أنني قرأت ديوان شاعر وقد أخرجه للناس في هذه الأيام فرأيت يفتح قصيدة له في « عيد الوطن الاقتصادي » بهذا الغزل الموهوم ! ولقد انتقدت هذا التصرف منه بشدة حينما عرضت لديوانه بالنقد في مجلة « الإمام »^(١) .

(١) مجلة الإمام ، كانت تصدر عن دار «أبوللو» في الثلاثينيات .

وصدق الإحساس من ألزم الأمور في قرض الشعر ، ولكنني
كثيراً ما أصطدم بالذين يسمون أنفسهم شعراء يصيغون الشعر في كل
مناسبة ، وعند أي طلب ، وللمرء قلب واحد ولا أدري كم قلب
لكل فرد من هؤلاء !

أكتب هذه الكلمة وقد فرغت من مطالعة قصة شعرية لتاغور
شاعر الهند العظيم عنوانها «لعة عند الوداع»

وما زلت أحس لها صدى يغمر نفسي ويجعلني أسمى بإنسانيتي الحقيمة
إلى عوالم خيالية عذبة ، ولعمري لا أدري كيف سحرني هذا الشاعر
العظيم ، وبأي نفوذ غريب اقتادني برغمي إلى دنياه التي أبدعها
خياله الفياض في هذه القصة الساحرة . إن هذه القصة تذكرني
بقصة «أنديميون» للشاعر جون كيتس - تلك القصة الشعرية السامية
التي يمتزج فيها الشعور الحلي باللذة الذهنية العالية .

ألا إن هذا هو الشعر السامي ، وليس كذلك الشعر الذي ينظمه
البيغاويون عندنا في كل المناسبات .

فالشاعر في هذه الدنيا رجل منها وليس منها ، يغرد أغاريد
السامية فسمع السماء لحن الخلود في الأرض الفانية .

• • •

على ضوء هذه النظرات نتقدم اليوم لنقد دواوين لشعراء طار
صيتهم في هذا الشرق العربي ، وأصبحت لهم مدارس وشيع
وأنصار ، ولا ريب في أن شعرهم حقيق بالنقد ، جدير بالكتابة عنه
في دقه وأمانه ، وهو يستأهل الجهد الذي يبذله الناقد في دراسته
وليس شأنه كشأن تلك المنظومات الغثة التي يتقدم بها أصحابها في
مسوح الحدم والعبيد ، على أنها من صمم الشعر وعيونه ، وما هي في
الواقع سوى سبة للشعر العالى الخالد .